

ملخص

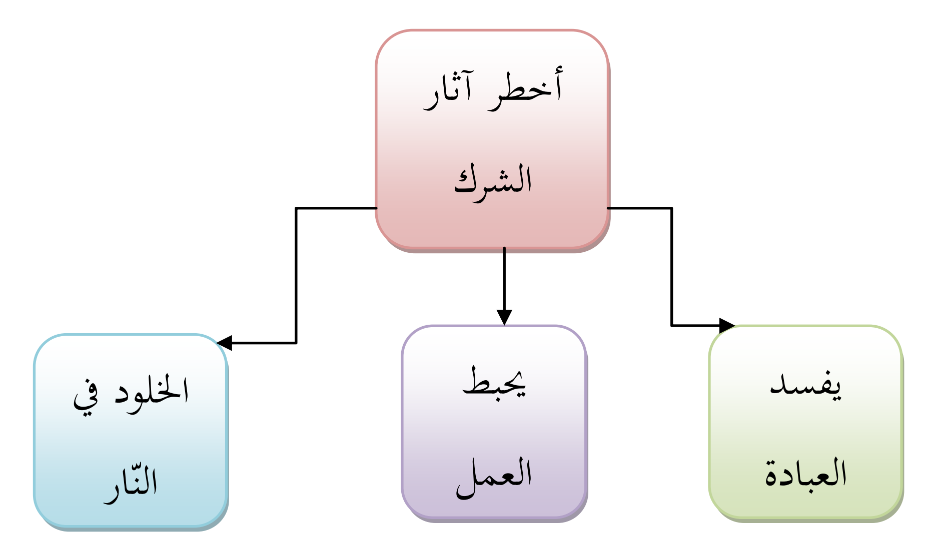
شرح القواعد الأربع

للشيخ أبي يوسف مصطفى مبرم

-حفظه الله-

❖الشرك له آثار عظيمة وأضرار جسيمة على العبد في الدنيا وفي الآخرة و أعظم و أخطر هذه الآثار التي ذكرها المصنف :

- يفسد العبادة (لأنّه انتقض شرطٌ من شروطها فالله –سبحانه وتعالى – لا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصا لوجهه)
- يحبط العمل (الإحباط يكون بعد وقوع العبادة)
- صار صاحبه من الخالدين في النّار.



❖قوله : فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة

أي: دخل في هذه العبادة واختلط بها وصار الإنسان عابدا لله تبارك وتعالى بهذا المعنى وعابدا لغيره.

❖شرطا العبادة هما:

- الإخلاص لله تعالى.

- المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

شرط قبول السعي أن يجتمعا فيه إصابة وإخلاص معا

لله رب العرش لا سواه موافق الشرع الذي اقتضاه .

جُمِع الشرطان في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

❖العبادة تفسد في حال فعلها إذا خالطها الشرك.وقد يعمل العبادة وهو مخلص لله تعالى فيقع في الشرك فتحبط تلك العبادة

فالإحباط يكون بعد وقوع العبادة.

يفسد العمل الذي خالطه الشرك ويحبط العمل الذي أعقبه الشرك .

❖الدليل على أنّ الشرك يحبط العمل :

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾وكما قال جل وعلا ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلك ﴾

❖معتقد أهل السنّة والجماعة فيمن مات على الشرك الأكبر :

خالد في نّار جهنّم –عياذا بالله– لا يخرج منها .و الدليل :قوله تعالى:

﴿إِنّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنّةَ وَمَأْوَاهُ النّارُ وَمَا لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾

❖فوائد من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

☒الله –سبحانه وتعالى– لا يغفر الشرك.و يدلّ على هذا أيضا قوله –صلى الله عليه وسلم– فيما يرويه عن ربه (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه).

☒استدل طائفة من أهل العلم بهذه الآية على أنّ الشرك الأصغر لا يغفره الله وإن كان صاحبه لا يخلد في نار جهنّم (بإجماع أهل العلم)فهو مشارك للشرك الأكبر في عدم الغفران، ومفارق للشرك الأكبر بعدم الخلود في نار جهنّم

بمعنى أنّ صاحب الشرك الأصغر لا يدخل تحت المشيئة من جهة المغفرة ولا يدخل تحت الذنوب التي فيها وعيد .

توضيح

أقوال أهل العلم فيمن مات على الشرك الأصغر :

القول الأول: يعذب على قدر شركه ثم يدخل الجنة ← أي لا يغفر له ،وهذا ما اختاره شيخ الاسلام و ابن القيم و الشيخ الفوزان رحمهم اللهو اختاره الشارح

القول الثاني: أن الشرك الأصغر مثله مثل الكبائر تحت المشيئة إن شاء الله سبحانه عذبه وإن شاء عفا عنه ← أي يغفره الله

القول الثالث :وهو قول وسط بين القولين إذا كان الشرك الأصغر قليل فهو تحت المشيئة، وإن كان كثير لابدّ من العذاب ثم بعد هذا يدخل الجنة.

❖القاعدة :

هي أصل الشيء و أساسه، و منها قواعد البيت و قواعد الهودج أي أساسه. و منها قوله تعالى: ﴿و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل ﴾

المراد بها في هذا المتن: الأصول التي يرجع إليها لمعرفة الشرك .



هذا العدد لا مفهوم له ،يعني أنّه ليس مقصودا لذاته. و إنّما هذه الأربع قواعد هي أهم القواعد التي يعرف بها الشرك وأهله ويعرف بها التوحيد وأهله. ولو نظرنا في نصوص الوحي لوجدنا سوى هذه الأربعة، قال شيخ شيخنا الإمام عبد الله بن عبد العزيز العقيل رحمه الله" هذه القواعد هي أهمّ القواعد التي يعرف بها الشرك و يعرف بها التوحيد".

❖هل للعدد مفهوم في كلام العرب؟

-الأعداد قد يراد بها ذاتها، أي ذات المعدود، فلا يزاد عليه ولا ينقص منه كما هو معلوم في مواضع في أبواب الكفارات والدّيات وما شابه ذلك .

-وقد لا يكون العدد مقصودا لذاته، وإنّما لشيء من أهمّيته ،أو لتعظيمه ،كما في قوله تعالى ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرِ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرِ اللَّه لَهُمْ﴾



الاحتجاجَ بمفهومِ العددِ وعدمَه متوقِّفٌ على الدّليلِ أو القرينةِ.

❖القاعدة الأولى

الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع طوائفهم وشعبهم مقرّون بتوحيد الربوبية ولم يدخلهم ذلك في الإسلام. إذ أنّ العبد لا يكون موحدا إلّا بإفراد الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاث.

❖التكفير والقتال من أهم الأعمال التي يعامل بها الكفار المحاربين والمعرضين عن الله حتّى يعطوا الجزية عن يدّ وهم صاغرون .قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

وقال : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُون فِتْنَة وَيَكُون الدِّين كُلّه لِلَّهِ ﴾

وهذان الأمران من أهمّ الأمور التي انتقدت على الشيخ رحمه الله وبعضهم وافقه بالتكفير ولم يوافقه في القتال على تفاصيل ذكرها في بيان دعوته في رسائله التي كتبها للمخالفين

❖أقسام التوحيد :

- توحيد الربوبية :هو إفراد الله تعالى بالخلق و الرزق و الملك و التدبير(أي بأفعاله سبحانه وتعالى).
- توحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة أي بأفعال العباد.
- توحيد الأسماء و الصفات: هو إفراد الله بما سمى و وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه و ذلك بإثبات ما أثبت لنفسه و نفي ما نفى عن نفسه من غير تحريف و لا تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل

❖الدليل على أنّ المشركين الأولين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية :

قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

فقد أقرّوا بأنّ الله عز وجل هو الرازق ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

وأقرّوا بأنّه الخالق ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

وأقرّوا بأنّه المدبر ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾

❖علاقة القاعدة الأولى بالثانية :

القاعدة الثانية تفسر سبب عدم دخول الكفار في الإسلام مع أنّهم كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية (القاعدة الأولى)

فمن عرف أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم مقرّون بتوحيد الربوبية و لم يدخلهم ذلك في الإسلام، فله أن يتساءل: إذا كان إقرارهم بربوبية الله لا يكفي ، فكيف كان شركهم؟ وماهي حقيقته؟ و لهذا وضح المصنف المسألة في القاعدة الثانية.

❖القاعدة الثانية

تضمّنت هذه القاعدة أنّ شرك المشركين إنّما هو في طلب القربة وفي طلب الشفاعة.

- الدّليل على أنّ شرك المشركين كان في طلب القربى من الآلهة التي يعبدونها من دون الله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

- وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.لأنّهم :كذبوا بقولهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾فقصروا و حصروا تقربهم لآلهتهم بإرادتهم بذلك الفعل التقربَ إلى الله و الله عزّ وجلّ لم يجعل هذا قربى .

و هم كفار لأنّهم غطوا الحقّ و أبطلوه و أعرضوا عنه وطلبوا القربة من آلهتهم.

- قوله :﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: من دون الله تبارك و تعالى أولياء يوادونهم و يحبونهم و يطلبون منهم النصرة.

- قوله :﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي :لأجل أن يقربونا إلى الله زلفى:أسرع قربة.

الشبهة الموصلة لهذه الشبهة التي شبه عليهم بها الشيطان و شبهوا بها على النّاس أنّهم يقولون:نحن مذنبون و خالطنا العمل الصالح بالطالح وهؤلاء هم الصالحون أهل الله وهم الذين لهم القربى عند الله –سبحانه و تعالى– فنحن

نتقرب إليهم ليرضوا عنّا و يصيروا قربة لله -جلّ و علا-،و نتقرب بهم إلى الله بشفاعتهم.

انتهى و لله الحمد و المنّة

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك